

قتيبة أن القصيدة هي التي تعد وحدة مستقلة ، حيث يذكر أن كل ما يسوقه الشاعر من عناصر سابقة لموضوع القصيدة الأصلي إنما هو تمهيد مقصود يتخذ منه الشاعر وسائل ومؤثرات نفسية تساعده في الوصول إلى أقصى ما يستطيع من تحقيق الغرض الأصلي^(٧) وإذن فالشاعر لا يهدف إلى سوق أبيات مفردة ، بل ولا إلى عناصر مستقلة ، وإنما يجعل القصيدة قسمين لا يكتمل أحدهما إلا بالآخر ، قسم في حكم المقلمة ، وقسم في حكم النتيجة ، فالقصيدة إذن مقلمة ونتيجة ، ولا يتصور الفصل بينها باستثناء إحداهما عن الأخرى ، أو استقلالها عنها ، ونص كلام ابن قتيبة الذي ينقله عن غيره (قال أبو محمد وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا وخاطب الربيع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمدة في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر^(٨) لانتقالهم من ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلال ، وتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسب فشكا الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي إصغاء الأسماع ، لأن التشبيب قريب من النفوس لاطم بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام ، فإذا استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهير ، وسرى الليل وحر الهجير ، وانتضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح ، فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيما يمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمناً إلى المزيد^(٩) .

وقد أولى النقاد المحدثون هذه الكلمة التي نقلها ابن قتيبة اهتماماً فوق ما ينبغي ، وحملوها ما لم تحمل ، فعظّمهم يعقب عليها على أنها رأى ابن قتيبة أو أنها تمثل موقفه ، وأنها تمثل موقف النقد القديم كله ، وأنها تمثل نقد القصاصد القديمة كلها ، وليس هذا كله متصفاً ولا صحيحاً لأكثر من سبب ، فمن ذلك أنه من الواضح أن ابن قتيبة كان في نقله هذا يمثل الأمانة العلمية في نسبة الآراء إلى أصحابها ، ويمثل الدقة